القسم النظري – مقرّر النثر العربي الحديث

-العوامل التي فعلت في النهضة العربية.

-أعلام روّاد النهضة العربية.

-أعلام التابعين.

-الفنون النثرية في الأدب العربي الحديث.

مدرّسة المقرر: الدكتورة إيمان عبد القادر

عصر النهضة العربيّة وأبرز العوامل التي فعلت فيها

. يُعدُّ مطلع القرن 19 تأريخاً لبداية عصر النهضة العربيّة، ذلك أنّ الاحتكاك بالحضارة الغربية (الأوربية) بدا حادّاً، انتشرت بعده مدارس الإرساليات الدّينية التي أمّت سواحل بلاد الشام، توجهها المطامح الدينية والمطامع السياسية.

. كانت الحملة الفرنسية على مصر في العام 1897م، قد أثارت في أنفس الناس الحاجة باللحاق بركب الحضارة الغربية المتفوّقة عن طريق اقتباس مؤسساتها العلمية ونظمها الإدارية والعسكرية وأساليبها التربوية.

. فكان لهذه الحملة وجهٌ حضاريٌّ تمثل في منجزاتٍ كثيرةٍ نجد صورتها في:

- الكتب التي أرّخت لها، مثل تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) الذي كان شاهداً عليها.
- اصطحب نابليون بونابرت قائد الحملة معه بعثة علمية من كبار مستشرقي فرنسا وعلمائها، فانكبوا على دراسة الحياة في مصر ودراسة طبيعتها وتربتها وآثارها، وكان لأحد رجالها(سامبوليون) فضل اكتشاف معاني الرموز الهيروغليفية وانجلاء صفحة التاريخ المصري القديم البالغ الروعة، على أثره.
- حمل الفرنسيون معهم مطبعة وأصدروا جريدتين، وأسسوا مكتبة في دارٍ ما تزال قائمة في حيّ السيدة زينب، وأجروا فيها بعض التجارب الكيميائية.
- لفتوا الأنظار إلى الفضاء، فجرّبوا أن يطيّروا منطاداً في بركة الأزبكية.
- شقّوا الطرقات، وزرعوا على حوافيها الأشجار.
- أنشؤوا مسرحاً طبعوا له التذاكر، وألصقوا الإعلانات على الجدران، وأضاؤوا الأزقة بالمصابيح.

ولذلك عُدَّت الحملة الفرنسية على مصر سبباً قويّاً من أسباب اليقظة في مطلع النهضة الحديثة، على الرغم من مطامعها الاستعمارية.

العوامل التي فعلت في النهضة العربية:

1 الإرساليات الدينية وحوافزها:

إنّ سواحل بلاد الشام أول ما لفت رجال الإرساليات والبعوث الدينية إليها، فتسابق إليها العازاريون واليسوعيون (الكاثوليك) والإنجيليون (البروتستانت)، فأنشأ العازاريون مدرسة عينطورا 1834م، وأنشأ

الإنجيليون مدرسة عبية العالية 1847م، وأنشأ اليسوعيون مدرسة غزير في السنة نفسها. وقد تخرج فيها جملةٌ صالحةٌ من رجال النهضة العربية.

. وتأسست مدارس البنات 1860م، ونقل الإنجيليون مدرسة عبية إلى بيروت 1866فتكونت نواة ما يُعرف الآن الجامعة الأمريكية. ونقل اليسوعيون مدرستهم في غزير 1847فتكونت منها الجامعة اليسوعية، وقد اهتمت هذه الكليات، التي بدأت بتدريس العلوم باللغة العربية، بتدريس الطب والصيدلة والتجارة واللغات.

. واتبعت الإرساليات من مثل الإنكليزية والألمانية والروسية والإيطالية النهج نفسه، فتأسست في فلسطين مدارس روسية أرثوذكسية في الناصرة وبيت جالا، وفي بعض قرى لبنان. وتأسست في مصر مدارس كثيرة تابعة للإرساليات الدينية. فقد كانت مدارس الإرساليات التعليمية الدينية قناةً واسعةً من قنوات الاتصال بالغرب وعلومه ولغاته، وحافزاً من حوافز الرغبة في تأسيس المدارس الوطنية على غرارها، واقتباس أساليبها في التعليم، وكانت سبيلاً من سبل الترجمة، وكانت أيضا تهيئ طلبتها للسفر إلى الغرب لتوسيع ثقافتهم فيه.

2 الغزو العسكري:

فقد كان طريقاً مباشرة إلى الاحتكاك بالغرب وحضارته وثقافاته، ولكنّها طريقٌ محفوفةٌ بالمخاطر، لما يثير الغزو والاحتلال في النفس من كرهٍ للمحتل.

3 البعثات في الغرب:

استقدم محمد علي في مصر من فرنسا الخبراء والأساتذة، وأرسل إليها البعوث لدراسة الإدارة المدنيّة والعسكريّة والبحريّة، والسياسة والطبّ والكيمياء والزراعة وطبقات الأرض والميكانيك والهندسة العسكرية والمدفعية والطبع والحفر والترجمة، وهدفه رفد الجيش بالمختصين واستثمار الأرض وإنشاء الصناعة، وكان عدد البعثة الأولى 1826م، يزيد عن الأربعين، فكان من رجالها المعلمون والمترجمون والأطباء والمهندسون والموظفون والإداريون.

4 أثر المهاجرة إلى أمريكا الشمالية والجنوبية:

. إذ تعمقت الصلة بالغرب وثقافته وأنماط حياته، وقويت حركتها بعد حوادث لبنان 1860م.

5 اتساع الطرق التجارية:

فإن الوطن العربي يقع في مفارق الطرق العالمية بين الشرق والغرب، فكانت حلب محطّ القوافل التجارية إلى العراق، وما وراءه من بلاد الشرق الأقصى. وكانت دمشق محطّ الخطّ التجاري إلى جنوبيّ الجزيرة العربية والبحر الأحمر.

وإن شقّ قناة السويس 1863أوقع انقلاباً في خطوط سير حركة التجارة العالمية، فازدادت كثافة الاتصال بالغرب.

6 الترجمة:

. أتاحت الترجمة في أيام محمد علي فرصة الاتصال الفكري المدروس بالثقافة العربية، وكانت الترجمة معروفة في الشام قبل عصر النهضة ومقتصرةً على ترجمة بعض الكتب الدينية والمواعظ. وترجم بعض رجال الإرساليات بعض كتب العلوم لحاجتهم إليها في التدريس، وكذلك ترجمة أنواع المعارف الغربية في مختلف الاختصاصات، سهر عليها رفاعة الطهطاوي وتلامذته، وبلغ عدد الكتب والرسائل الألفين.

7 نزعة المحافظة على الأصول في حركة نشر التراث القديم:

. نشطت في القرن 19نشاطاً ملحوظاً أسهمت فيه المطابع الآتية:

. مطبعة بولاق أنشأها محمد العلي.

. مطبعة الجوائب في الآستانة أنشأها أحمد فارس الشدياق.

. مطابع الجمعيات العامة والإرساليات في الشام ومصر.

وهذه الحركة استهدت المنهج العلمي في النشر الذي اتبعه المستشرقون في مراكز الاستشراق الكبرى في الغرب، (باريس، ليدن، لندن، ليبزيغ، مدريد).

– ومن ثمار هذه الحركة نشر أمهات كتب التراث في الشرق والغرب، والانتفاع بها في تكوين الأجيال فكرياً ولغوياً، بثّ الثقة في نفوسها، وتنمية إحساسها بأصالتها وعظمة تراثها العلميّ والأدبيّ واللغويّ، وبضرورة وصل حاضرها بماضيها لإنارة المستقبل.

إنّ وعي الأمة لتراثها مبنيٌّ على يقظة إحساسها القومي، وقد تهيّأت له عوامل: (اللغة الواحدة وقد انصبت فيها ثمار حضاراتٍ متنوّعةٍ(هندية وفارسية وإغريقية ولاتينية قديمة) أصبحت لغة الشعوب الإسلامية، وهي لغةٌ لا تعوزها المعرفة والدقّة وكثرة المفردات والقدرة على هضم كلّ جديد. كذلك تاريخ الأدب العربي من أقدم الآداب الحيّة وأخصبها).

وظلت العربية في الجناح الإفريقي حيّةً على الرغم مما أصابها لأنها لغة الحياة والدين.

8 المطابع:

انتشرت المطابع في المراكز العلمية الكبيرة (حلب، بيروت، القاهرة، الآستانة) وقوّتها حركة الإرساليات وإنشاء المدارس لطبع الكتب اللازمة للتعليم. أُنشئت مطبعة الآستانة بالحروف العربية وطبعت كتباً في اللغة والأدب والتاريخ، وأعان على سبك الحروف العربية الشماس عبدالله زاخر الحلبي الذي أسس

مطبعة الشوير في لبنان بالإضافة إلى ظهور مطبعة قزحيا وظهرت في بيروت في القرن 18مطبعة القديس جاورجيوس.

. مطبعة الحملة الفرنسية التي جاء بها نابليون بونابرت لطبع المنشورات، وظلت عاملةً إلى آخر أيام الحملة في مصر.

. أقام محمد علي مطبعة بولاق على أنقاض مطبعة الحملة، وعيّن لها محررين من شباب الأزهر، وأصبحت أكبر مطبعة عربية على الإطلاق.

. تأسست المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام 1848م، وطبعت كتب الأدب والتاريخ واللغة العربية.

9 ظهور الصحافة العربية:

كانت المطابع تؤسس لنشر الصحف، وأعانت على انتشار الصحافة. ولم تظهر الصحافة العربية إلا في ظهور محمد علي الذي أنشأ الوقائع المصرية عام .1828

. ظهرت جريدة المبشر التي أصدرها الفرنسيون في الجزائر 1847م بالعربية والفرنسية.

. ظهرت جريدة مرآة الأحوال في الآستانة لرزق الله حسون 1855م. وظهرت جريدة حديقة الأخبار في بيروت لخليل الخوري 1858م.

. جريدة الجوائب لأحمد فارس الشدياق في الآستانة 1860م.

. تأسست مجلات الهلال والمقتطف، وظهرت مجلات متخصصة بتوعية المرأة فيما يمكن أن نسميه الصحافة النِّسْوية، والمجلات الحقوقية والقضائية والطبية.

. ظهرت في الأمريكتين في المهجر الجريدة الأولى (كوكب أمريكا) 1891م.

. وفي أمريكا الشمالية (الفنون) لنسيب عريضة و(السائح) لعبد المسيح حداد، وظهرت في البرازيل (مجلة العصبة) لسان العصبة الأندلسية.

10 الجمعيات والأندية الأدبية والعلمية والفنية:

– كانت مقدمة لظهور الجمعيات والمنتديات السياسية، وتأسست في بيروت الجمعية السورية التي كان من أعضائها بعض المرسلين الأمريكيين، وفيهم المعلم بطرس البستاني وناصيف اليازجي. وكانت لها مكتبة للمطالعة وجلسات ومحاضر وحفلات خطَابة.

. ظهرت في بيروت الجمعية العلمية السورية التي اعترفت بها الدولة العثمانية 1868م.

. جمعية زهرة الآداب في بيروت 1873م، وكانت تُلقى فيها دروس أسبوعية، وتُقام بعض التمثيليات.

. ظهرت الجمعيات النِّسْوية، لترقية المرأة، والجمعيات الخيرية، وفيها جمعية المقاصد للمسلمين في بيروت.

. وظهرت في أواخر القرن 19وأوائل القرن 20جمعيات متخصصة للصناعة والتمثيل، ومنتديات تسعى إلى تغذية الشعور القومي العربي، مثل المنتدى الأدبي.

. تعددت الجمعيات في مصر، مثل (معهد مصر) الذي أنشأ فيه الفرنسيون مكتبةً وصف نظامها المؤرخ الجبرتي. ومن ثمارها الكتاب الضخم (وصف مصر).

. نشأت الجمعية الجغرافية، ولغتها الفرنسية، ولحقت بها الجمعيات العربية العلمية والسياسية، ومنها جمعية (مصر الفتاة) التي كان من أعضائها جمال الدين الأفغاني.

. ألّف المهاجرون السوريون في الأمريكيتين جمعياتٍ كثيرةً: مثل (رواق المعري) في البرازيل، و (الاتحاد السوري) في نيويورك، وأُسست الرابطة القلمية في أوائل القرن 20في الولايات المتحدة والعصبة الأندلسية في البرازيل.

11 انتشار المكتبات:

انتشرت المكتبات العامة والخاصة في مصر والشام وأقطار الوطن العربي، وتسربت مخطوطاتٌ كثيرةٌ إلى مكتبات العرب واشتراها السياح واغتصبها الغزاة من مكتبات المساجد الموقوفة، ونقلوها إلى بلادهم، وفي الآستانة مجموعة ضخمة من هذه المخطوطات في مكتباتها العامة مثل: (طوبقبو، كوبرلي، آياصوفيا، نور عثمانية)، واحتفظنا بصورٍ لها في مكتباتنا العربية.

. من أشهر المكتبات: 1 دار الكتب المصرية في القاهرة أسسها علي مبارك 1870م.

2المكتبة الأزهرية في مصر 1879م.

3المكتبة الظاهرية في دمشق أسسها مدحت باشا.

4مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب.

5دار الكتب الوطنية بحلب.

6المكتبة الخالدية في القدس.

7مكتبات الكاظمية وكربلاء والنجف الأشرف وبغداد.

8مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة.

9مكتبة الجزائر الأهلية في الجزائر .1835

10المكتبة الصادقية في تونس.

12 نشأة المسرح العربي:

. بتأثير الاحتكاك بالغرب، نشأ لدينا المسرح، ومارون النقاش أول مسرحي عربي، وكان يقتبس مسرحياته من المسرحيات الغربية. ثم انتقلت حركة المسرح إلى مصر، وأنشأ الخديوي المصري

إسماعيل سنة الفراغ من حفر قناة السويس 1869 دار الأوبرا، ومُثلت على خشبتها مسرحية (عايدة) الغنائية باللغة الفرنسية. ثم انتشرت ظاهرة المسرح في الوطن العربي وتعددت الفرق الممثلة على خشبته.

أعلام رواد عصر النهضة العربية

أولاً : المؤرّخ عبد الرحمن الجبرتي (١٧٥٤-١٨٢٥)

١. خطوط تكوينه العامة:

* ينتسب الجبرتي إلى جَبَرْت، وهو إقليمٌ في شمالي بلاد الحبشة، يسكنه المسلمون، ويُعرف باسم الزّيلع. نزح جدّه السّابع إلى مصر؛ وكانت له سُمعة علمية انتهت به إلى أن يكون شيخ رواق الجبرت في الأزهر. وتتابع أولاده من بعده على مشيخة الرواق، وقد عُدّ أبوه (حسن) من كبار علماء عصره. وتلقّى عبد الرحمن العلم على يد أبيه.

* وقد ورث عن أبيه شغفاً بالتاريخ وقصصه، وقدرة على تتبع الأحداث التي يعاصرها، ودرسها والتنبّه لمعانيها الحيّة، وتدوينها. ثمّ لما قدمت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨م) بدأ يرقب الأحداث الخطيرة، ويجمع وثائقها المهمة، ويدرسها دراسة مدوّنة موضوعية تكشف عن حسٍّ تاريخي عميق ناضج متميز، وعن فهمٍ لقضايا العصر الكبيرة ودور التاريخ في جلائها وتصويرها.

* وربما خالط الأحداث فعرضها عرضاً يفيض حرارةً، ويبعد به عن كلفة التعبير وتزويقه والاحتفال به. فلهذا نعدّ تاريخه الذي سمّاه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) وأرّخ فيه لأحداث العصر في مصر، قبل الحملة الفرنسية وبعدها، صفحة رائدة في نثرنا الحديث.

* للجبرتي كتابٌ آخر سماه: (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس). يمكن أن يُعدّ في جوهره صفحات من تاريخه العظيم، فليس فيه ما ينفرد به إلا تقويم الغزوة الفرنسية وأعمالها تقويماً بدا أبعد عن قصد الاعتدال الذي قصده في التاريخ.

٢. ورد في نصّ كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) ما يلي:

((في عشرينه، كتبوا عدّة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق، مضمونها: أن في يوم الجمعة حادي عشرينه قصدنا أن نطيّر مركباً ببركة الأزبكية في الهواء بحيلة فرنساوية. فكثر لغط الناس في هذا كعادتهم.

فلمّا كان ذلك اليوم قبل العصر تجمّع الناس والكثير من الإفرنج ليروا تلك العجيبة؛ وكنت بجملتهم، فرأيت قماشاً على هيئة الأوبة على عمود قائم؛ وهو ملوّن أحمر وأبيض وأزرق، على مثل دائرة الغربال، وفي وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان؛ وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها إلى الدائرة، وهي مشدودة ببكرٍ وأحبال،

وأطراف الأحبال بأيدي أناسٍ قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها . فلمّا كان بعد العصر بنحو ساعة أو قدوا تلك الفتيلة، فصعد دخانها إلى ذلك القماش وملأه، فانتفخ وصار مثل الكرة. وطلب الدخان الصعود إلى مركزه فلم يجد منفذاً، فجذبها معه إلى العلوّ، فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض؛ فقطعوا تلك الحبال فصعدت إلى الجو مع الهواء، ومشت هنيهة لطيفة، ثمّ سقطت طارتها بالفتيلة، وسقط أيضاً ذلك القماش، وتناثر منها أوراق كثيرة من نُسخ الأوراق المبصومة. فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها . ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب يسير في الهواء بحكمةٍ مصنوعة، ويجلس فيها أنفارٌ من الناس، ويسافرون فيها إلى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وإرسال المراسلات؛ بل أظهر أنها مثل الطيارة التي يعملها الفرّاشون(الفرّاش؛ التابع أو الخادم) بالمواسم والأفراح.

- وأفردوا مكاناً في بيت حسن كاشف جركسي لصناعة الحكمة والطبّ الكيماوي، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقطير عجيبة الوضع، وآلات تصاعيد الأرواح – المقصود الغازات- ، وتقاطير المياه وخلاصات المفردات وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات، واستخراج المياه الجلاءة والحلالة. وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلوري المختلف الأشكال والهيئات، على الرفوف والسّدلات، وبداخلها أنواع المستخرجات...))) .

توجيه لدرس النصّ:

أ. عصر الجبرتي ومجتمعه: عصرٌ مضطرب انهارت فيه قيمٌ اجتماعية قديمة لا إنسانية سهر الإقطاع المتحكّم على بنائها وتأصيلها، وبدأت تقوم على انقاضها قيم اجتماعية جديدة تسهر على بنائها وتأصيلها الطبقة الوسطى التي اغتنت وتمكنت وتطلعت إلى السّلطان، وإلى بناء مجتمع جديد تُقدّر فيه الكفاءة الذاتية وحوافزها البناءة، وينال فيه المواطن حقّه في الحياة الكريمة، وفي التطلع إلى غد أفضل. والتعبير الحرّ عمّا يشغله ويتطلع إليه. (على الرغم من أنّ الحملة الفرنسية لم تتجرّد من الدعوة إلى هدم المجتمعات القديمة وتمزيق روابطها اللاإنسانية).

مجتمع الجبرتي المغلوب على أمره، المغلق على قيمه العفنة، وعلى جهله وخاوفه وخرافاته وأمراضه، تنفتح أبوابه على حقائق الحياة التي حملتها هذه الغزوة، وصور الحضارة الجديدة التي طالعته معها.

الجبرتي: هو أحد مثقفي العصر المنفتحين الواعين لمعاني هذه الحياة الجديدة في ظل المجتمع المتخلف، فبدأ يدرسها دراسة واعية، ويكتب أخبارها، ويصوّر أحداثها وآثارها، في الناس من حوله، ويصوّر مراحل اللقاء بين الحضارتين: الآفلة والبازغة، تصويراً تخلّص فيه من قيم التعبير الانحطاطية أحياناً كثيرة التي كبّلت كتّابنا أجيالاً طويلة، حتى مطالع النهضة الحديثة.

ب. يقع النصّ في ١٣ ثلاث عشرة فقرة تتعاون وصف بعض ما أقام الفرنسيون في مصر من مظاهر الحضارة الجديدة، وما أجروا فيها من تجارب علمية : فيزيائية وكيميائية.

ج. يُعدّ النصّ من النصوص القليلة الثمينة في تصوير أولى مراحل اللقاء بين الحضارتين، في مطلع عصر النهضة: (حضارة الشرق المتخلفة، وحضارة الغرب البازغة) الآخذة بأسباب العلم والمتطلعة إلى آفاق إنسانية جديدة في الفكر والعمل والعمران.

– يُعدّ النصّ وثيقة حية بفعل ما شاهده الجبرتي من تجارب العلم التي قام بها الفرنسيون بأمّ عينه، وهنا تكمن قيمة النصّ كونه وثيقة حية صادقة ذاتية.

– استطاع الجبرتي التعبير عن مشاهداته وعن عصره تعبيراً سهلاً دقيقاً خالياً من مظاهر الصّنعة والتي كانت تشغل كتاب عصره عن أنفسهم وحقائق حياتهم وموضوعاتهم.

– توجد في النص مظاهر الضعف على اختلافها، والالتزام الموضوعي الجاف وعدم الاحتفال بالصورة، ولكن هذا لا ينتقص من الريادة في حقل الكتابة.

ثانياً: المفكر رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١–١٨٧٣)

١. خطوط تكوينه العامة:

* ينتهي نسب رِفاعة، من أبيه، إلى الحسين، ومن أمه إلى الخزرج من الأنصار. وقد وُلد في مدينة طهطا، ونشأ فيها فتعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ثمّ غادرها بعد موت أبيه من الضائقة الاقتصادية فيها. وسنّه لا تزيد عن الخامسة عشرة (١٨١٦م)، فدخل الأزهر مقتدياً بأخواله، وحين بلغ الخامسة والعشرين (١٨٢٦م) تصدّى للتدريس في الأزهر.

* الإيفاد: ثمّ سنحت له الفرصة الكبيرة فرحل في ربيع العام نفسه إلى باريس، في بعثة تضمّ أربعين شاباً، ضمّ إليهم رفاعة ليسهر على شؤون دينهم في عاصمة الحضارة الغربية الأولى آنذاك. وقد لفت رفاعة نظر السيد جومار مدير البعثة، وكان في السابق من علماء الحملة الفرنسية، ثم لم ينقطع عن الاهتمام بشؤون مصر وخدمة واليها محمد علي، فوجه رفاعة إلى تعلم الفرنسية وترجمة مبادئ العلوم عنها.

* عمله: – أمضى في باريس خمس سنوات عاد بعدها (١٨٣١م) إلى مصر، وقد امتلأت نفسه بمعاني حياة جديدة، فأخذ يدرّس وينشئ المدارس، ويترجم، ويعلّم الترجمة، ويكتب، وينشر الصحف، ويبسّط العلوم، حتّى عدّ المؤسس الأول لنهضة مصر الفكرية.

– أسّس دار الألسن التي افتتحت بإشرافه (١٨٣٥م) فتخرّج على يديه جيل المترجمين الأول الذي أوصل العربية إلى أوّل مدٍّ واسع من مدود الفكر الأوروبي والثقافة الغربية الحديثة.

– تولّى تحرير الوقائع المصرية (١٨٤٢م).

* دعوته إلى التجديد: نشر ما يقرب من ثلاثين كتاباً بثّ فيها دعوته إلى التجديد والإيمان بقيم إنسانية جديدة في الفكر والعمل، أهمها: إقامة الحياة الحديثة في مصر على دعائم من المعرفة الموضوعية، والاعتداد بالكرامة الإنسانية، وحقّ المحكوم في توجيه الحاكم وتقويمه، وحتمية التطور الإنساني في كلّ ميدان والقضاء على الخوف منه، وتخليص المرأة المسلمة من ربقة الأوهام والمخاوف والتقاليد الجائرة، ودفعها إلى الحياة لتشارك في بنائها بالعلم والكرامة والحق والخير.

* العوامل التي ساعدت رفاعة على تأديته رسالته ودعوته: ساعده عقلٌ مفتوح على حضارة العصر، وإيمان عميق متزن بقيمتها الإنسانية، مشدود إلى إحساس عميق بماضي أمته العريق، وإدراكٍ حسَنٍ لخصائص ثقافتها ودينها، وتكوينها الحضاري العام، وأثر ذلك كله في مزاجها وصورة سلوكها. وساعدته أيضاً جرأة وحنكة ودهاء وفطنة، واعتدال في المزاج، ولطف في الدخول على الجديد.

* رسالة الطهطاوي اللغوية والأدبية: تطويع اللغة للتعبير عن حضارة العصر ومكتسباته العقلية والمادية. وإغناء معجمها بالمصطلحات العلمية والفنية، بالكشف عن تراثها اللغوي وإعادة تقويمه، وبالتعريب الواعي الذي يحفظ للغة في أغلب الأحيان خصائصها الصوتية وأساليب بنائها لصيغها. وتدميث التعبير اللغوي وتبسيطه وتيسيره، لجعله يبين عن المقصود من أيسر الطرق.

* سلبيات كتابته: لعلّ ما أدّاه في صورة تعبيره لا يصل إلى مستوى هذه الرسالة الرفيعة، فقد غلبته تقاليد المرحلة الزمنية أحياناً وتخلّفها وغموض مسالكها، فسجع ولجأ إلى العامية، ونقل الألفاظ والمصطلحات عن الفرنسية نقلاً حرفياً، وصرّفها واشتقّ منها، ووقع في الركاكة والاضطراب.

٢. كتبه:

أولاً: كتاب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز):

* كتب رفاعة سيرة رحلته إلى باريس في كتابٍ مثير سمّاه: (**تخليص الإبريز في تلخيص باريز**): –

– ويُعدّ الكتاب أوّل صورة من صور اللقاء الحديث بين حضارتنا المتخلّفة وحضارة الغرب في القرن التاسع عشر الذي بدأت فيه هذه الحضارة تجني ثمار التقدّم العلمي والفني والإداري.

– يتألف الكتاب من مقدّمة في أربعة أبواب، ومقصد يقع في ستّ مقالات تنقسم إلى عدّة فصولٍ تحكي الرحلة نفسها وخاتمة. وحدد رفاعة في المقدمة أسباب الرحلة إلى باريس. وأبدى في مقالات المقصد آراء نقدية نافذة تتعلق بلغة الكتابة في عصره، ومحسناتها اللفظية، موازناً بين الفرنسية والعربية، ومستطرداً إلى نقد تصنيف علوم اللغة العربية؛ وانتهى إلى أنّ العلم هو الملكة لا حفظ المتون. وأبدى إعجابه بالعلوم التجريبية.

– لم يكتم أنّ في فلسفة فلاسفة الفرنسيين أدلة يعسر على الإنسان ردّها. وامتدح ما لمس من حرية الفكر والرأي فيهم.

– لم يفقد رفاعة رشده أمام مظاهر الحضارة الغربية البراقة ومؤسساتها الضخمة، فقد بقي إيمانه بأمته وتقاليدها وحضارتها الغابرة وجمال روحها ثابتاً لا يتزعزع، نلمسه في الموازنات الطريفة التي يقيمها في بعض صفحات الكتاب.

ثانياً: كتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية: عرض في الكتاب لواجب الأغنياء بالبذل لتكثير المحالّ الخيرية، وتربية الولد على المعرفة والفروسية والصنائع، وتعليم البنت، ومنابع الثروة العامة ودور العمل في تنميتها.

ثالثاً: كتاب المرشد الأمين للبنات والبنين: في الكتاب يعرّف الناشئة حقوقها وواجباتها، ويبيّن خطر التربية على مستقبل الأمة، ويعزز دعوته إلى تعليم البنت، ودعوته إلى إشاعة الإيمان بحرية الفكر والرأي والتسوية بين المواطنين.

رابعاً: له كتابان أيضاً في التاريخ: الأول: (أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل): ويؤرخ فيه لمصر قبل الإسلام. **والثاني:** (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز): وفيه يؤرخ لمصر من بعد الإسلام، مبتدئاً بالسيرة النبوية.

٣. ورد في نصّ كتاب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ما يلي:

((الذي يظهر لمن تأمّل في أحوال العلوم والفنون الأدبية والصناعة في هذا العصر بمدينة باريس، أنّ المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت أوجها بهذه المدينة، وأنّه لا يوجد من حكماء الإفرنج من يضاهي حكماء باريس؛ بل ولا في الحكماء المتقدمين كما هو الظاهر أيضاً.

– غير أنّ صاحب النقد السديد قد يقول: إنّ سائر الفنون العلمية التي يظهر أثرها بالتجارب، معرفة هؤلاء الحكماء بها ثابتة، وإتقانها عندهم لا نزاع فيه، كما يشهد لذلك قول بعض أجلّه الحكماء: الأمور بتمامها، والأعمال بخواتيمها، والصنائع باستدامتها، وأما أغلب العلوم والفنون النظرية فإنها معروفة لهم غاية المعرفة. .

– ثمّ إنّ الفرنسيس يميلون بالطبيعة إلى تحصيل المعارف، ويتشوقون إلى معرفة سائر الأشياء. فلذلك ترى أنّ سائرهم له معرفة مستوعبة إجمالاً لسائر الأشياء، فليس غريباً عنها؛ حتّى أنّك إذا خاطبته تكلّم معك بكلام العلماء، ولو لم يكن منهم. فلذلك ترى عامّة الفرنساوية يبحثون ويتنازعون في بعض مسائل علمية عويصة. . .

ومن الأشياء التي يستفيد منها الإنسان كثير الفوائد الشاردة: التذاكر اليومية المسمّاة: الجرنالات، جمع جرنال. وهو يُجمع –في اللغة الفرنساوية – على جُرنو. وهي ورقات تطبع كلّ يوم، وتَذكر كل ما وصل إليهم علمه في ذلك اليوم، وتُنشر في المدينة وتُباع لسائر الناس. . .والجرنالات مختلفة الأنواع والأصناف: فمنها ما هو معدّ لذكر أخبارٍ داخل مملكة الفرنسيس وخارجها. ومنها ما هو مخصوص بأمور الملكة فقط، وما هو للمعاملات، وما هو للطب. ولكلّ علمٍ على حدته –كعلم الطب– إلى آخره . . .)) .

توجيه لدرس النصّ:

أ. عصر رفاعة ومجتمعه: * إحساسٌ عميقٌ بالتخلف في مطلع القرن التاسع عشر، بعد خروج الفرنسيين من مصر، وتولي محمد علي شؤونها. * الالتفات إلى الغرب المتفوق لنقل علومه وفنونه إلى اللغة التي يفهمها الناس في مصر، لبناء الوطن بناءً جديداً.* انكباب رفاعة على العلم والتفاته إلى العلوم الحديثة. فتنبّه إلى مساوئ حياته ومجتمعه في الوطن، في ضوء ما لمس في باريس من التقدّم الفكري والاجتماعي والصحّي والتربوي والسياسي، وهذا الكتاب هو تسجيلٌ حيّ بهذه المعاني كلها.

ب. النصّ مكوّن من تسع عشرة فقرة تصف منتزهات مدينة باريس. ثمّ يصف المسرح، ويصف الأوبرا، والسيرك...(تحدّث عن خطر المسرح وفائدته الكبيرة في ذلك الوقت).

وإنّ ما أبداه من آراء في مظاهر الحياة الغربية آنذاك يمثّل رأي الشرق المحافظ بمخاوفه وتفسيره، الخاص للحياة والأحياء، واحتفاله الكبير بأمور الطاعات.

جـ. إنّ نصوص الكتاب ذات قيمة بالغة، لأنها من النصوص الأولى النادرة التي تصوّر تطلّعنا إلى الحضارة الغربية الحديثة، ويبدو ذلك قوياً في الموازنات التي بثّها في الكتاب بين الحضارتين، والنقد الواضح لنقائض الحياة في مصر آنذاك.

ضعف الكتابة: الضعف في التعبير واضح، وتفشي العامية وأشباه العامية لا يخفى في النص، فقد كُتب في مرحلة الخروج من الانحطاط، ومحاولة التعبير عن الحياة الحديثة وحاجاتها في إطار الجملة الموروثة، وتطويعها حتى تسع التعبير عن هذه الحاجات. تملّص رفاعة من قيود الزينات، والصناعة.

ثالثاً: المعلّم بطرس البستاني (١٨١٩- ١٨٨٣م)

١. خطوط تكوينه العامة:

* ينتسب بطرس إلى أسرة كانت تعمل في الزراعة، وكان لها بستان عامر في بعض نواحي بشري (شمالي لبنان) نُسبَ إليه رأس الأسرة البستانية، فسمي: البستاني.

* دراسته: درس في مدرسة عين ورقة المارونية الكبيرة، فتعمق البستاني فيها؛ درس علوم اللغة العربية، والتاريخ، والجغرافية، والمنطق، والفلسفة، واللاهوت، ودرس السريانية، واللاتينية، والإيطالية. وفيها تلقّى مبادئ الإنكليزية.

* عمله: عمل ترجماناً للإنكليز في بيروت، وتهيأ له الاتصال برجال البعثات التبشيرية البروتستانتية من الأميركيين فيها، وعلى رأسهم صديقه الدكتور كرنيليوس فانديك، وأعانهم على تأسيس مدرسة عبية البروتستانتية، وأخذ يدرّس فيها النحو والحساب، ويتعمّق درْس الإنجليزية، ويترجم عنها بعض الكتب.

– ثمّ عاد إلى بيروت ١٨٤٨م وعمل ترجماناً في القنصلية الأمريكية، وقد انصرف خلال هذه المرحلة إلى المحاضرة في الجمعيات الدينية والخيرية والأدبية، وترجمة بعض الرسائل التبشيرية، ودرْس اليونانية والعبرية، والإلمام ببعض المعارف الحديثة.

– وأعان الدكتور عالي سميث على ترجمة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة إلى العربية (الترجمة البروتستانتية للكتاب المقدس)، وكوّن معجمه (محيط المحيط) الذي اختصره من بعد في كتاب (قطر المحيط).

* أعماله:

– نفير سورية: وهي مجموعة من الرسائل الصغيرة، في شكل جريدة ذات صفحتين، يحثّ فيها مواطنيه على التآخي.

– المدرسة الوطنية: أسسها بطرس البستاني، وعمل فيها على غرس بذور دعوته إلى السلام والمحبة في قلوب الصغار، وقَبِل فيها الطلبة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وديارهم.

– أصدر ١٨٧٠ مجلته نصف الشهرية المشهورة الجنان، وأصدر ١٨٧١ جريدته الجنينة.

– دائرة المعارف: موسوعة كبيرة ألفها بطرس البستاني، ومات عنها ١٨٨٣ في مجلدها السابع، وتابع العمل فيها من بعده ولده سليم، وآخرون من آل البستاني.

* دعوته بالنسبة للغة العربية: كان أحد الدعاة إلى تحرير اللغة والأدب من رواسب الانحطاط ولفظياته وألاعيبه الكلامية الخادعة، وإلى الدخول بالعربية معركة الحضارة القائمة، وتتبع تياراتها العاتية في كل

ميدان، وتطويع اللغة حتى تسع التعبير عنها، وتكوين معجمها الحديث، وتفسير معانيها الدقيقة، ووصف أدوات حضارتها ومؤسساتها الكبيرة، وفهم نتاجها الفكري والمادي.

* سلبيات كتابته: اختار بطرس البستاني الكلمة الدقيقة الهادئة الواضحة البعيدة عن كل زينة واصطناع، المتأثرة بالمرحلة الزمنية التي يحياها صاحبها: في ركاكتها أحياناً وضعفها وخطئها، وبمزاج صاحبها العلمي: في بُعدها عن الابتكار الفني، وحرمانها من جمال الصورة، فوقع تعبيره –بهذا– في موقعٍ لا يُدنيه من مواقع كتّاب النهضة، وإن كان لم يبعد به عن مواقع روادها. ولكن أعماله وترجمته جعلوه يرقى إلى صفّ أعلام الرواد.

٢. ورد في نصٍّ من خطبة بطرس البستاني التي ألقاها عن (آداب العرب) يضمّ جملة آرائه في إصلاح اللغة العربية وآدابها، ما يلي:

((هذا وإنّ حالة العلوم المتعلقة باللغة العربية –كالصرف والنحو مثلاً– ليست بأقلّ احتياجاً من اللغة نفسها إلى الإصلاح من هذا القبيل. فإنّها –في حالتها الحاضرة– لا توافق الذين يقصدون العلوم طلباً لنوال ما يترتب عليها من أمر المعيشة. وذلك لأنّ كامل حياتهم بالكدّ (التعب والجهد) يكفي لتحصيلها على حقها. وهذا من جملة الأسباب التي تجعل أهلها يهملونها بالكليّة، أو يتخذون لغةً أو لغات أجنبية ضرائر لها. وهل يليق بالإنسان–الذي إنّما جعلت له اللغة واسطة وباباً للعلوم –أن يجعلها غاية، ويصرف حياته كلها، واقفاً أمام ذلك الباب يتفرّج على نقشه وزخرفه الخارجي، مع إيقانه بأنّ وراءه تحفاً قديمة وحديثة تسلب القلب وتخلب الألباب؟...

– إنّ الآداب عند العرب، في هذه الأيام، هي في حالة انحطاط كلّي:

أمّا العلوم اللغوية فإننا قلما نجد أحداً من أبناء العرب يمكن أن يُشار إليه بالبنان: بأنّه يعرف لغته وقواعدها حق المعرفة. فإنّهم – في الأكثر –يكتفون من علم اللغة بحفظ بعض كلماتٍ غريبة ميتة يدرجونها في كتاباتهم وأشعارهم بقصد إظهار معرفتهم، والتمويه على الجمهور!.

وأمّا المعاني والبيان، وما يتعلّق بهما، فمتروكٌ حلّ مسائلها، وفهم مؤلفاتها النفيسة إلى همّة ونشاط أجيالٍ مستقبلة.

وأمّا علم المنطق فيكفيه اعتباراً وحفظاً – عند أكثرهم– قولهم فيه: (من تمنطق فقد تزندق))!.

وأمّا العلوم التعليمية: كالحساب والهندسة ومتعلقاتهما، فهذه يكتفون منها بالجمع والطرح. ومن زاد عليهما الضرب والقسمة، وحفظ بعض مسائل بأجوبتها مما أوجده لهم الأقدمون، يذيع اسمه في الآفاق: أنّه من فحول العلماء! ويستغنون بالمقوّمين عن المسّاحين، وبالبنائين عن المهندسين!.

وأمّا علم الفلك فلا يوجد له من محامٍ ولا حافظ، وكأنّه علمٌ بلا فائدة منه للعرب، لأنّهم يعلمون أنّ الشمس تغطس في البحر، وأنّ الكواكب فوق رؤوسهم، دون افتقار إلى درسٍ أو عناء.

وأمّا علم الطبّ فهو صناعةٌ قد فتحت أبوابها عفواً لمن أراد أن يدعيها لنفسه، وإن كان لا يعرف القراءة، بشرط أن يكون في حوزته ريشة ماضية لتقطيع أوصال العباد! وهي الصناعة الوحيدة التي يمكن الإنسان أن يتعاطاها دون أن يتعلمها من أستاذ! وألحق بالطب علم الكيمياء: فإنّه قد تقهقر عند العرب إلى حالته التي كانت له قبل أن مدوا إليه أيديهم!.

وأمّا علم النبات فهذا متروك لرعاة المواشي، والفلاحين!

وأمّا علم الجغرافيا فيكتفي الواحد منهم بمعرفة اسم بلدته وطريق بيته، ويخشى أن يصيبه دوار، إذا تعلم أنّ الشمس ثابتة والأرض تدور.

وأمّا الشعر –الذي من شأنه أن يتقدم جنازة الآداب، أو يبشر بولادتها– فبابه مفتوح عفواً لمن أراد الدخول. وكلّ من حافظ على القوافي، وألبس معاني الأقدمين أخلاق (البالي) ثياب فهو شاعر؛ ولكن إذا أبدع بأن يأتي بكلماتٍ غير مفهومة، وأظهر مهارةً وبراعة في التضمين والاقتباس –حتى لا أقول: في السرقة –من الأقدمين، فهو خنذيذ (الشاعر المجيد).

وهكذا القول في باقي العلوم...)).

توجيه لدرس النص:

أ. عصر البستاني ومجتمعه: عصره يمثل أولى مراحل اليقظة، فالإرساليات الأجنبية تغزو لبنان، وتؤسس مدارسها المختلفة ومنتدياتها الفكرية، وتؤلف كتبها التعليمية الأولى. في هذا العصر نشأت

الفكرة القومية عند العرب، والإحساس العميق بخطر اللغة العربية في تنمية هذه الفكرة وتأصيلها، وفي تكوين الفكر العربي الحديث، كون هذه اللغة أداته الفاعلة في النفوذ إلى الحياة الحديثة وحضارتها، وفهم قيمها وحقائقها العلمية.

ب. يقع خطاب البستاني (آداب العرب) في ثلاث عشرة فقرة، ويُعد صيحةً حادّة أطلقها البستاني في وجه جيله ومجتمعه القديم؛ فقد خرج فيه على قيم مجتمعه اللغوية والأدبية، ودعا إلى الخروج عليها، في جرأة الرواد وصفاء رؤيتهم وحرارتها، وأتيح له الاتصال والاطلاع على ثقافة الغرب.

وقد انصرف البستاني في معظم خطابه إلى تزيين طرق الإصلاح في اللغة، فقد كانت مشغلة الرواد في عصره، حتى يهيؤوا لجيل التابعين، من بعده، أداة صالحة للفكر العربي الحديث، قادرة على مخاطبة الحياة الحديثة، وعلى نقل ثقافاتها، وتنميتها، فيتهيأ للأمة –على هذه الصورة– أن تلحق بالركب الإنساني المتقدّم.

جـ. تمكن الإشارة إلى ضعف التعبير في الخطاب، وركاكته، وخطئه أحياناً. فهذه حقيقة لا نغفل عنها في عصر الريادة، في تاريخ النثر العربي الحديث.

أعلام التابعين:

أولاً: الفكر الأدبي: فرنسيس مراش (١٨٦٣-١٨٧٣م)

١. خطوط تكوينه العامة:

* وُلد في حلب. في أسرة مسيحية، مثقفة عريقة. وذُكر لأبيه فتح الله إلمام باللغة والأدب.

* دراسته: بدأ فرنسيس دراسة اللغة العربية وآدابها على يد أبيه، وسافر إلى أوروبة مع أبيه، وتنبه عقله القوي إلى مطالب العلم :عصر العلم والنظريات العلمية، درس الطب في حلب. رحل إلى باريس، ثم عاد إلى حلب، وكُفَّ بصره. وقد لزم بيته في حلب، وأقبل فيه على الإنتاج والكتابة.

اكتملت له العدّة: تفتّح عقلي، وطبع أدبي موروث، واطّلاع على ثقافة الغرب وحضارته اطلاعاً حيّاً مباشراً. وكان فيما يبدو صاحب مزاجٍ رومانسي حادّ. يصحبه نزوع عقلي إلى فهم الحياة والنفوذ إلى حقائقها.

* دعوته: قد دعا إلى مبادئ إنسانية رفيعة: تحرير الإنسان من كلّ رق داخلي وخارجي، رد الظلم، كره الحرب والتمسّك بالسلم والمحبة، إنصاف الطبقات العاملة، تقدير العقل وتثقيفه بنشر العلم والمعرفة، الأخذ بأسباب التمدّن والحضارة الحديثة.

* كتبه:

له كتابان: مشهد الأحوال، وغابة الحق. وبنى فرنسيس مراش كتابيه على مجموعة كبيرة من الأفكار الفلسفية والاجتماعية المتطلعة إلى واقع إنساني واجتماعي جديد عرفه في باريس، ودعا إلى أن يقوم في وطنه.

٢. كتاب (غابة الحق):

تعريف بالكتاب: اختار فرنسيس مراش للكتاب شكل القصة الفلسفية التي تنفرد عادة –بصفتها شكلاً من أشكال هذا النوع الأدبي، يخاطب الخاصّة، بجعل الأحداث مطية للأفكار، والترخص في تحريكها الحركة الملائمة، ومن اعتماد التحليل الفكري المفصل، والحديث المسترسل الذي يشغل الصفحات الطويلة. وقد جعل مراش وقائع الكتاب كلها تقوم في الحلم، (لعله تأثر في ذلك برؤيا يوحنا أو جحيم دانتي): كان "ضارباً في أودية التأملات العقلية" كما يقول، يفكر في أحوال ممالك العالم القديم وتتابعها واحدة واحدة (يُلاحظ أنّه أغفل ذكر دولة العرب المسلمين)، "فأخذته سنة في المنام، وانفتح لدى أعينه مسرح الأحلام" فرأى نفسه في بريةٍ واسعة (يذكر في نهاية القصة أنّها برية حلب الشهباء)، ينتصب فيها عرشان يجلس عليهما ملك الحرية وملكة الحكمة يتحاوران في القضاء على مملكة الظلم والتوحش.

في رأي مراش في كتابه ومن خلال قصته يبسط قائد جيش التمدّن رأيه في أنّ التمدّن لا ينتشر عن طريق القوة والقهر، ولكن دعائم خمس لا بدّ أن يقوم عليها. وهذه الدعائم هي:

دعائم التمدّن الخمس:

١. تهذيب السياسة: (بتوطين الحق وتمهيد أسباب الراحة للهيئة الاجتماعية)، ولا بدّ من ساسة يُقتدى بهم (ذوي صفات حميدة وأخلاق رصينة)، ومن خلق حالة الاستواء بمحو الطبقية، ومن مطابقة السياسة بقوانينها وشرائعها لما يقتضيه واقع الحال)، ومن النظر الدائم إلى المصلحة العامة وتواصل السهر عليها)، بتمهيد سبل العلوم (إنشاء المدارس)، وتسهيل طرائق التجارة (إصلاح الطرقات، وتوطيد دعائم الأمان وسن القوانين)، وتقوية وسائط الصنائع والأشغال (تشجيع الاختراعات، وتوسيع دوائر الادوات الصناعية، وإنشاء المعامل، ومساعدة الزراعة والفلاحة (رفع الجَور عن الفلاح، ومنع الظلم)، وقطع أسباب التعدّي.

٢. تثقيف العقل (بالتروض في العلوم والفنون، ودراسة المعارف الطبيعية والادبية)، لأنّه أمرٌ محقق كون العلم يخلق في الإنسان قلباً نقياً، وروحا مستقيمة. وبدون تثقيف العقل لا يتّصف الإنسان إلا بصفة البهائم التي لا عقل لها ولا يمكن أن يدعى متمدّنا قط.

٣. تحسين العوائد والأخلاق (بإمالة الأميال عن التطبعات بالعوائد والأخلاق المنكرة وإلحاقها بالمقبولة)، فلا يتفق التمدن مع السكر والنهم والفجور والكذب...، ولا يتفق مع الزينات والمظاهر الكاذبة والانحراف عن العمل في الخير، ...وإذلال النساء وتحقيرهنّ وإهانتهنّ وضربهنّ، لأنّ الجنس النّسائي جوهرٌ لطيفٌ للغاية.

٤. صحّة المدينة: بمراعاة نظافتها في الأسواق والمنازل.

٥. المحبة هي الناموس الذي جعلته حكمة العناية ضابطاً لجموع نظام الخليقة، وذلك بعدها القوة التي جعلها الله لتحريك الخلائق وتدبير الكائنات، تحت أشكال مختلفة.

ثانياً: الفكر النقدي: محمد روحي الخالدي (١٨٦٤-١٩١٣م)

١. خطوط تكوينه العامة:

* وُلد في بيتٍ عريق من بيوتات العلم في القدس. وتعرف أسرته قديماً بأسره (الديري). ونُسبت على الأرجح إلى الخالدية من جهات الموصل التي قدمت منها أصول الأسرة. وشغل أبوه مناصب مهمّة في بيروت. ثمّ انتقل مع ابنه روحي إلى القدس، فأُدخل كتاتيبها وإحدى مدارس الحكومة الابتدائية فيها.

* دراسته: لمّا شبّ روحي تردد على دروس الفقه والتوحيد والحديث وعلوم اللغة والمنطق والبلاغة في المسجد الأقصى، وجمع إليها الرغبة في إتقان الفرنسية في بعض مدارس القدس. ثمّ التحق بالمكتب الشاهاني في الآستانة، وتخرج منها. انتقل إلى باريس فالتحق بمدرسة العلوم السياسية فيها لثلاث سنوات. ودرس في دار الفنون العالية بالسوربون فلسفة العلوم الإسلامية والآداب الشرقية. ثمّ عين قنصلاً للدولة العثمانية في بوردو ثمّ مبعوثاً في مجلس المبعوثان العثماني عن القدس.

٢. كتابه النقدي: (فيكتور هوغو وعلم الأدب عند الإفرنج والعرب):

تعريف الكتاب: هو أنفع كتب الخالدي وأغناها. وكان نشره في (الهلال) مقالات متفرقة قبل أن يجمعه في كتاب واحد. والذي دعاه إلى تأليفه أنّ فرنسا احتفلت عام ١٩٠٢ بمرور قرن على ميلاد فيكتور هوغو. ولحظ الخالدي انتشار شهرة هذا الشاعر في الشرق والغرب، فأحبّ التعريف به وبأدبه وطريقته التي سمّاها (الطريقة الرومانية (الرومانسية). ودعاه التعريف بها إلى ذكر ما يوازيها من كلام العرب في كتبهم النقدية وغيرها. وأغراه البحث فتوسّع فيما رآه من اقتباس الغربيين من آدابنا وعلومنا عن طريق الأندلس والحروب الصليبية.

٣. ورد في نصّ من كتاب (فيكتور هوغو وعلم الأدب عند الإفرنج والعرب) ما يلي:

(الطريقة الرومانية (المذهب الرومانسي): هي أدبٌ يُبحث فيه عن مشاعر النفس وبدائع المخلوقات. وهذا الأدب من قسم الشعر الموسيقي أو الغنائي الممتاز بخاصّته الشخصية. . .فإذا نظرنا في أغراض النفس نجدها على نوعين: أحدهما أعراض قائمة بالنفس كالشعور بالحبّ والرجاء، والشعور بالبغض واليأس، والشعور بالفرح والطرب والابتهاج، أو بالحزن والغم والانقباض. والثاني انفعالات تحصل للنفس بواسطة الحواس الخمس، وهي البصر والسمع والذوق والشم واللمس. فهذه الحواس منها ما هو حائزٌ على الصفة التمثيلية للعالم كالبصر والسمع. وهما بهذه الصفة آلات يبني الإنسان بها العالم الخارجي الذي يحمل صورته في نفسه. ومنها لم يحز على هذه الصفة التمثيلية بسهولة وبلا واسطة، كبعض الانفعالات العضلية وحاستي الشمّ والذوق عند أكثر الناس....) .

توجيه لدرس النصّ:

أ. الكاتب وتكوينه الفكري والنفسي في مرحلته الزمنية: عقلٌ جادّ متفتح، ونفس متزنة. ثقافة منوعة عربية غربية، إنسانية الآفاق. ولاء عميق للجذور.

ب. النص يعرّف بالمذهب الرومانسي، وبيان خصائصه مضموناً وشكلاً، والجنوح في بيانها إلى موازنته بالمذهب الكلاسيكي.

جـ. الكتاب أولى المحاولات، في عصر النهضة، للتعريف بأحد المذاهب الأدبية الغربية.

الفنون النثرية في الأدب العربي الحديث

. نظرية الأجناس الأدبية:

هي قضية مفهومية وقضية إشكالية معاً، وهي في كلا الجانبين أو بسببهما ترتبط بالأبعاد المعرفية والحضارية والثقافية، وبالأذواق وتطورات الفنون مثلما ترتبط بالزمان والمكان، والبيئة، والعصر، والناس، ولغة الخطاب، والمتلقي.

مرت النظرية بثلاث مراحل:

. المرحلة الكلاسيكية التي صنفت الفنون إلى أنواعٍ كبرى وأنواعّ صغرى لها، ولكنها تتلاقى ولا تتداخل، وكل نوع له سماته، وخصائصه التي يتميز بها، وأدواته، ومواده التي يبني بوساطتها عالمه الأدبيّ أو متنه.

. المرحلة الرومانسية وما أعقبها من مدارس: حاولت أن تتجاوز التقسيم إلى نوعٍ من التداخل في الموضوعات والمصادر والمواد الخام، دون الأدوات أو الوسائل.

. المرحلة الحديثة: التي رفض أصحابها نظرية الأجناس طارحين وجهة نظرٍ جديدة، تتجاوز الأجناس المنفصلة إلى المتون المتصلة التي لا تنتمي إلا إلى جنس الأدب.

أنواع الفنون النثرية:

1 المقالة

. شغلت المقالة في أدبنا العربي الحديث حيزاً واسعاً، فقد أعان على ازدهارها منذ نهاية النصف الأول من القرن 19إلى نهاية النصف الأول من القرن 20: تطور الصحافة، وغليان المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية بفعل الإحساس بضرورة التغيير، والتأثر بالمذاهب الأدبية والاتجاهات الغربية، وما يثير في المحافظين من خوفٍ على الهوية الفكرية والقومية.

. كانت مصر والشام تتوزعان نشاط الصحفيين العرب في بيروت ودمشق وحلب والإسكندرية والقاهرة، ونخص هنا مصر لأنها كانت تتمتع بحريّةٍ نسبية، وسعة ساحتها وتوسطها أقطار الوطن العربي، وتوفر الإمكانات المادية والبشرية.

. وكان لنشوء المجلات أثرٌ بالغٌ في المقالة وتطورها.

نشأة المقالة:

نشأت المقالة الحديثة في الغرب على يد مونتني الفرنسي في القرن 16الذي مثل الخروج على الكلاسيكية، والميل إلى التعبير عن الذات، في بساطة وعفوية، وهي من ملامح الرومانسية.

. ميزات الكتابة الذاتية عند مونتني:

تمكين العنصر الذاتي، تميز التعبير بالحرية والانطلاق، تحرر من الأصول والقواعد المتبعة في تناول الموضوعات.

. فرنسيس باكون في إنكلترا: طور تجربته بعد إفادته من مونتني، وبعد الإقبال على قراءة المقالة، فكانت تجربته تتميز بـ: عنصر الموضوعية كان أنمى في مقالاته من مقالات مونتني، والميل إلى الموضوعات الخُلُقية والاجتماعية المركزة.

خصائص المقالة:

- وحدة الفكرة التي تشغلها.
- اعتدال حجمها واقتصارها على قطعة واحدة من الكلام.
- البساطة والعفوية في تناول الفكرة.
- الانطلاق في التعبير عنها بعيداً عن التصنع.
- بروز العنصر الذاتي في تطوير المواقف والتجارب.
- سماحة النظرة وغلبة الفكاهة.

وليس لها أن تتوفر جميعها في مقالةٍ واحدةٍ، ممثلة في الرسائل في الأدب القديم (رسائل ابن المقفع) وعبد الحميد الكاتب، وفصول في كتب الجاحظ، والمقالة الفكرية في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.

. من المجلات التي كانت تنشر المقالات: مجلتا (الرسالة) لأحمد حسن الزيات، و (الثقافة) لجماعة لجنة التأليف والترجمة والنشر يرأسها أحمد أمين، فكان لها دورٌ بالغ الخطورة في إذكاء المعارك الفكرية والأدبية، بين أقطار الوطن العربي، التي كانت تدور في مجالسها الأدبية والفكرية، وجرّ المفكرين والأدباء إلى ساحتها مما جعل من هاتين المجلتين، مجلتين قوميتين لهما أثرهما البالغ في ازدهار الحركة الفكرية والأدبية لمدة ربع قرنٍ من الزمان. وذلك لأن المقالة وحدها تقريباً هي النوع الأدبي القادر على استيعاب هذا النشاط الفكري الحاد، في هذه المرحلة المزدهرة من حياة الفكر الأدبي العربي.

. ومن أعلامها بنوعيها الذاتي والموضوعي: (أحمد أمين، المازني، الرافعي، الزيات، العقاد) ولكل منهم خصائص تكوينه الفكري والنفسي.

2 القصة

- القصة بمفهومها العام:

معروفةٌ في أدبنا العربي القديم، وفي تراث الإنسانية بصورة عامة، لصلتها بالحياة ورواية أحداثها، مثل ما ورد في كتب التاريخ القديمة والكتب الدينية، وفي الملاحم ووقائع الحروب.

ونجد لها حضوراً في تراث الأدب الجاهلي، وفي القرآن الكريم من قصصٍ وأخبارٍ، وفي العصور اللاحقة ظهرت المقامات، وحضرت المادة القصصية في كتابيّ الجاحظ (البخلاء، والحيوان)، وما تناقلته الألسن مثل القصص الشعبية وما أضيف إليها مثل (ألف ليلة وليلة).

. القصة بمفهومها التقني العام:

فهي تعبر عن الحياة وما فيها من موضوعات منفتحة على تياراتٍ ومذاهب فكرية وأدبية واجتماعية ونفسية، إذ يتم اختيار الأحداث وحبكها بما يحفظ قانون الحياة العام ومنطقها فيها، واختيار الزمان والمكان الملائمين للأحداث، والقدرة على رسم الشخصيات مع مراعاة النوازع السيكولوجية لها وكذلك السيسيولوجية وقدرتها على الاندماج في الأحداث، واختيار لغة الحوار المركزة التي تتفق مع طبيعة الموقف وخصائص الشخصيات ومفارقاتها الفكرية والنفسية والاجتماعية، وتلاؤم السرد مع الأحداث.

بداية القصة في الأدب العربي الحديث:

- بدأت من النصف الثاني من القرن 19نتيجة الاحتكاك بالغرب.
- فكانت بدايتها مع ترجمة بعض القصص ذات النزعة الرومانسية.
- ثم بدأ نشر الأقاصيص إذ وضع المترجمون بعض القصص على نمط القصص المترجمة، مثل قصص المغامرات (الفرسان الثلاثة والكونت دي مونت كريستو للكاتب ديماس الأب)، وباردليان لميشيل زيفاكو، وقصص الحب، وقصص الرعب، وقصص الأساطير، والقصص البوليسية (أرسين لوبين، وشيرلوك هولمز)، والقصص الاجتماعية (البؤساء لفيكتور هيجو).
- ثم بدأ تيارٌ يكتب القصة بلغة المقامات مثل محمد المويلحي في مصر (حديث عيسى بن هشام).
- ثم فجر القصة الفنية مع محمد حسين هيكل (قصة زينب) التي نُشرت في 1914م، وما فيها من عيوب فنية.
- روايات المهجريين التي تتصف بالجرأة ونقد التقاليد، والتحرر في اللغة، ووضوح الذاتية على طريقة الرومانسية مثل (الأجنحة المتكسرة) لجبران خليل جبران 1912م.

أنواع القصة باختلاف مضامينها:

1 قصة المغامرات: ويسود فيها عنصر الحركة ودفع الأحداث باتجاه مواقف الإثارة لتشويق القارئ، واشتهر بكتابة قصص المغامرات التاريخية في الأدب العربي الحديث جرجي زيدان متأثراً بقصص والتر سكوت التاريخية. وقصصه كلها تخضع لتصميمٍ واحدٍ يقوم على مزج الحدث التاريخي بحدثٍ عاطفيٍّ يستوحيه أو يخلقه. وعنصر التحليل فيها ضعيفٌ جداً والشخصية ثابتةٌ لا تغيرها التجارب والأحداث، وقد يتدخل الكاتب في سياقها، مبيّناً بعض الدروس الخُلُقيّة.

2 القصة الشخصية: يكون فيها الحدث وحركته وتفاعله معها وسيلةً للكشف عن أعماقها، وتحليلها وبيان ردودها، وفي هذا يستفيد القاص من معطيات العلوم الإنسانية مثل علم النفس، وتتميز فيها نماذج بشرية مفردة أو مشتركة، مثل شخصية أحمد عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ، وشخصية إبراهيم في قصة إبراهيم للمازني، وقصة اللاز للطاهر وطار. وهي شخصيات ذات ملامح إنسانية حادة، تُعدّ نموذجاً تمثل التكوين النفسي.

3 قصة الموضوع العام: التي يغلب عليها طابع المعالجة الاجتماعية أو التاريخية أو السياسية، ويسود فيها عنصر الحدث، وتصويره وتحليله في إطار الواقع الاجتماعي، أو التاريخي، أو السياسي، وقد يستفيد القاصّ من معطيات علم الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة. مثل قصص الطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال وعرس الزين)، وقصة خيري الذهبي (ملكوت البسطاء)، وحنا مينه (المرصد).

4 القصة الفكرية: يسود فيها عنصر التحليل الفكري أو الفلسفي، وتكون الأحداث والشخصيات والفعل القصصي مطايا للكشف عن حقائق الحياة الإنسانية، وإليها تنتمي قصة الرمز أو القصة العلمية، أو الدينية. ويمثل له قصص المهجريين (النبي لجبران خليل جبران، مذكرات الأرقش ومرداد واليوم الأخير لمخائيل نُعيمة).

أشكال القصة باختلاف مضامينها:

1 القصة القصيرة: ويكون القصد أن يسجل الكاتب انطباعاً عن موقفه من مواقف الحياة، أو ظاهرة من ظواهرها أثارت انتباهه، حيث يقطعها من مجرى الحياة، ويصورها في خفّة وتركيز. ويُحتفل فيها بالحدث أو يُهمل فيها بشيء ما، والنزعة إلى تصوير ردود الفعل الإنسانية أو الاكتفاء بالتلميح إليها، والعناية بالحوار أو تطبيقه أو إلغائه أحياناً، والمهم في هذه القصة هو عمق الانطباع الذي تخلقه في نفس القارئ عن طريق تركيزها واختيار الزاوية الصالحة في تناولها والقدرة على اكتشاف المتناقضات الحية المثيرة في شخصياتها.

2 القصة: تتسع فيها الأحداث، وتكثر فبها الشخصيات وتنمو روابطها بعضها ببعض، وبالأحداث التي تتفاعل معها وبالأشياء من حولها.

3 الأقصوصة: إذا ضاقت عن القصة واتسعت عن القصة القصيرة.

4 الرواية: إذا اتسع مسرح الأحداث وزاد تشابكها وأردنا التعبير عن مرحلة كاملة من مراحل الزمن لمجتمعٍ من المجتمعات، أو لبيئة من بيئاته تتعقّد فيها الروابط البشرية بين شخصياتها، ببعضها ببعض، وبين الأشياء من حولها، والأحداث التي تتحرك بها وتحركها، وانفسحت الفرصة لتأمل المشاهد وتصوير ألوان السلوك وتحليل حوافزها النفسية العميقة في إطار ما يلبثها من خصائص التكوين وصفات البيئة والعصر.

. تقنيات القصة القصيرة المعاصرة في سورية:

– مرّت القصة القصيرة بأربع مراحل زمنية لأنها أتت متعاقبة، وفنية لأن تقنياتها الأدبية المتطورة قد تتزامن وهي:

1 مرحلة التأسيس:

وهي المرحلة التي حاولت فيها القصة القصيرة التأصيل بملامحها المتميزة بعيداً عن العلاقة التي تشترك فيها مع القصة في عملية القص أو السرد من مثل الحكاية والمقامة والمقالة والرواية، وتختلف هذه المرحلة زمانياً من مكان إلى مكان تبعاً لقوة المؤثرات. وفي سورية امتدت من الثلث الأخير من ق 19 إلى بداية الثلث الثاني من ق .20

2 مرحلة القصة القصيرة التقليدية:

بمعالمها المعروفة كالسرد التتابعي وولادة الحدث ونموه والذروة والحبكة والحل أو الخاتمة، وسماتها الفنية القائمة على الحجم والتركيز والاقتصاد ووحدة الانطباع ولحظة التوتر. امتدت من 1930إلى 1960م.

3 مرحلة القصة الحديثة: عُني فيها أصحابها بتقنيات مغايرة لتقنيات القصة القصيرة الكلاسيكية مثل: (المونولوج الداخلي، كسر وتداخله، كسر النمطية، تفتيت الحدث والشخصية، البعثرة والجمع، حضور الحلم، اللغة الخاصة بها). امتدت من 1960إلى 1985.

4 المرحلة المعاصرة:

أفادت من تقنيات القصة الحديثة، مثل تجاوز الكتابة اليقينية إلى الكتابة المعرفية التساؤلية، وتجاوز السرد الخارجي إلى آليات السرد الداخلي، والرؤية بعين الحدس، والتشظي محل وحدة الأثر. بدأت في 1985

من القاصّين: (فاضل السباعي حزن حتى الموت 1975، ياسين رفاعية الرجال الخطرون1979، محمود موعد . فحيح المرايا، حسن حميد . قرنفل أحمر لأجلها 1990، نجم الدين السمان الأنفاس الأخيرة لعتريس، شوقي بغدادي . مهنة اسمها الحلم).

أجيال الرواية العربية . سماتها ومميزاتها:

تميزت كتابة الأجيال العربية في المدة الزمنية التي عاصرها بعدد من السمات الفنية وهي كالآتي:

1 الجيل الرائد:

امتدت فترته من 1830إلى 1914، وفي هذه المرحلة:

- اختلطت الترجمة بالاقتباس، والتعريب بالتأليف، وقد يكون النص واحداً من هذه أو كلها.
- ليس للرواية قسمات محددة ولا خصائص، والفارق الوحيد بينها وبين السرديات كان كمياً وليس نوعياُ.
- كانت شخصية الكاتب ماثلة في سطور الرواية، إما عن طريق التدخل، أو التعقيب وإبداء الرأي، أو عن طريق الحكم والأمثال، وكان ذلك يقطع سير الأحداث وتسلسلها مثلاً.
- افتقدت الرواية عنصر التشخيص، أي رسم الشخصيات وهي تتحرك ضمن شبكة العلاقات.
- عكست اللغة معاناة الروائيين، فهي لم تمتلك خصوصيتها لديهم ولم تكن سوى تعبيراتٍ عاديةٍ جاهزة للاستعمال.

2 الجيل المؤسس:

امتد في الفترة بين الحربين العالميتين بدءاً من رواية زينب، وهذا الجيل انقطع عن سابقه، واستقى فنه مباشرةً من الغرب، من مثل هيكل وتوفيق الحكيم، وطه حسين، والعقاد والمازني،...إلخ. ويتميز بالسمات الآتية:

- لم يكن أي فرد من أفراد الجيل متخصصاً بكتابة الرواية، فالتخصص أول شرط من شروط الإبداع.
- غلبت السيرة الذاتية عليها، وهي أقرب للترجمة الذاتية منها إلى الرواية الفنية برأي د نعيم اليافي، فالكاتب فيها يدور حول نفسه، ويجعلها محور النص في شجونها وشؤونها، وثمة تماهٍ فائقٌ بين الأنا الأدبية والأنا الإنسانية.
- عكست التوجّه الرومانسي للفرد، إذ ظلّت تعوم في مطلق الفرد ودائرته، ولم تدخل في نسبية الجماعة. ونرى المنطلقات الرومانسية قد انعكست على عناصر الرواية كلها من ضمائر، وفعل، وزمان، ومكان، ولغة، وأسلوب.

- وبرز في هذه المرحلة ثلاثة كتّاب طوّروا السردية الرومانسية : عبد الحليم عبد الله في الرومانسية الريفية المثالية، ويوسف السباعي، وإحسان عبد القدوس في الرومانسية المدينية المادية، إذ لقيا قبولاً جماهيرياً من ناحية الموضوع أكثر من الناحية الفنية.

3 الجيل المكوّن: امتد بين 1930و1960، ويمثّل هذا الجيل علمٌ فردٌ على مدى عقود من الزمن، هو نجيب محفوظ، ويتسم جيله بالآتي:

- هو جيلٌ متخصص بكتابة الرواية، فلم يكتب سواها من فنون القول.
- جيلٌ تأثر بالجيل السابق، ولكنه تجاوزه وانعطف بالجنس الروائي نحو فضاءٍ آخر، وتأثر بالتقنيات الغربية وأغرق نفسه بها، لكنه أخلص لواقعه.
- أصبح ذا خبرة بالتقنيات، حتى ملك تقنيات الرواية من جميع أطرافها، ومكوناتها في الزمان والمكان، والشخصية والرؤية والمعالجة، فأنشأ له عالماً مستقلاً.
- طور هذا الجيل رؤاه وأساليبه وطرائق معالجته تطويراً كبيراً تحت تأثير حركة الواقع وحركة الفن معاً، ولم يؤطر نفسه في مذهب، حتى صنع تقاليده بنفسه.
- من المحلية إلى العالمية.

4الجيل المتلامح:

يمتد من 1955إلى 1969م. ويمثله: حنا مينة، الطاهر وطار، عبد الرحمن الشرقاوي، يوسف إدريس، ذو النون أيوب، فؤاد التكرلي، مطاع الصفدي، جورج سالم، فاضل السباعي، عبد السلام العجيلي، غسان كنفاني، سهيل إدريس، ليلى بعلبكي، كوليت خوري، غادة السمان.. وغيرهم. ومن سمات هذا الجيل:

- اتّكأ على البعد الاجتماعي للأدب. وربط بين النص وبين مهمّة النضال على شتى الصعد.
- احتفل بالمضمون على حساب الشكل.
- كانت الشخصيات تبدو سوداء أو بيضاء، ترسم نماذج عليا، وتقدّم من قبل الكاتب بريئةً أو متهمةً، ولم تقدم خليطاً من عناصر الخير والشرّ، ناهيةً باطراد كما هي عليه الشخصيات الإنسانية.
- أصبح الصراع الطبقي دفأً رئيساً من أهداف المتن الروائي، يبرزه الكاتب ويفعّله، وكأنّه العنصر الأهم والوحيد من عناصر الرؤية والتكوين.
- برزت في متون الروايات دعاوى الانتماء والالتزام والانطواء إلى الأمّة والمجموعِ، والانتصاف إلى الكيان الفردي في رؤية القضايا ومعالجتها، ولم يكن يتعارض لدى بعضهم الانتماء إلى الأمّة والإخلاص إلى الفرد.

5الجيل المتألق:

امتد بين الحربين: حزيران وحرب الخليج. ومن مبدعيه: (جمال الغيطاني، صبري موسى، فاضل العزاوي، هاني الراهب، عبد الرحمن منيف، فارس زرزور، الطيب صالح، إبراهيم الكوني، عبد الحكيم قاسم، جبرا إبراهيم جبرا، يحيى خلف، سحر خليفة، حليم بركات، توفيق فياض)، ومن سماته:

- ظهرت الرواية الكلية تماماً، كالقصيدة الكلية تتشظى في كلّ اتجاهٍ، وتعالج أو تصور كل القضايا.
- من الموضوعات التي اهتمت بها: موضوع النفط والصحراء، والقضية الفلسطينية، والمصير العربي ككلّ.
- تلامح نوعٍ جديدٍ من الرواية هو الرواية العلمية، أو رواية الخيال العلمي.
- أصبحت الرواية كشفاً وتعريةً ونقداً جارحاً للواقع المؤلم والمأسوي والحزين، واقع التفتت والتجزئة، والمجتمع الماديّ والمتعفن ، مجتمع الاستغلال والاستهلاك، ولم يقصر الروائيون في إبراز بشاعة الواقع والمجتمع وإدانتهما.
- ظهور الأبطال الروائيين: الإشكالي: نتيجة الإحباطات والانكسارات التي كابدها في ظلّ الهزائم المتلاحقة، حتى صار مأزوماً. الفهلوي: نتيجة طغيان المجتمع الاستهلاكي، حتى صار الوصول والانتهاز غايةً ومطلباً. الاجماعي: وهو لونٌ جديدٌ في مقابل الفردي والتقليدي، وهو البطل بالتتابع الذي يحمل راية النضال وينقلها من جيلٍ إلى جيل.
- زاد الكم والكيف في هذه الفترة.
- تعددت الأشكال الروائية وقوالبها، وتعددت الأصوات ضمن الرواية الواحدة.
- جمعت معظم الروايات بين جدل المقابلات الثنوية (المونولوج والديالوج، الشعور واللاشعور، الباطن والظاهر)، وجمعت من ناحية اللغة بين عامية الحوار وفصاحة السرد، وارتقت في بعض الأحيان لتكون شعرية الأداء.
- تأثرت تقنية الروايات بتقنيات الفنون السمعية والبصرية، ولاسيما بفن السينما، ويبدو ذلك واضحاً في أسلوبيّ القطع والوصل(المونتاج والإلصاق).
- برزت مشكلتا الأصالة والمعاصرة، وراح الكتّاب يفتشون في تراثهم عن قضايا السّرد والحكي وأساليب القصّ، فجاءت نصوصهم مفعمةً بالتناصّ التاريخي وغير التاريخي، زاعمين في أنهم في ذلك يقدّمون شكلاً روائيّاً يُنسب لنا ويُشتقّ من ماضينا.

6 الجيل الجديد: 1990ومن سماته:

- التمادي على وسائل الفنون السمعية والبصرية، وإقامة علاقات مرئية لا تخطر على بال، وإذا كان هذا التمادي ويلغي إلى حدٍّ كبير نظرية الأجناس التقليدية.
- التمادي في التفتيت والتشظّي، تفتيت الحدث والشخصية، وتشظي الزمان والمكان.
- التمادي في الابتعاد عن الواقع والانجراف وراء لامعقولية الحياة.
- التمادي في التخاطر الداخلي رؤيةً وإدراكاً، ويبرز هذا التخاطر وهو حاصل جمعٍ رومانسيٍّ جديدٍ، مع وجوديّةٍ في عدّة مظاهر في الضمير والمناجاة والنجوى، والعلاقات مع الأشياء والشخصيات.
- التمادي في التكيّف والترميز والأسطرة، والتمادي في تشكل اللاتشكل، والبحث عن أيّ شكلٍ بأيٍّ ثمن.

3 السيرة الذاتية

. **السيرة الفنية الحديثة:** في الغرب يطلق عليها اسم (بيوغرافي)Biographie وهي مشتقة من القصة، وفيها عناصرها الحدث والتحليل والوصف والحوار. إذ يجمع كاتب السيرة الوثائق التي تتصل بالحياة، ويصنفها ويدرسها في ظروف الزمان والمكان، ويرصد تفاعلها ومراحل تطورها، ثم يكتب قصتها. وهي نوعٌ أدبيٌّ حديثٌ أفاد من تقنيات القصة الحديثة ففرق بينها وبين ما عُرف في أدبنا القديم مثل كتب السير على اختلافها(سيرة الزير سالم) وغيرها.

. الفرق بين السيرة الذاتية الحديثة والسيرة في الأدب العربي القديم أن الأخيرة تقوم على سرد الأحداث المتفرقة في حياة المترجم له، فلا يراعى تلاحم الأحداث ولا تكاملها ليبدو من خلالها عمل الحياة، فلا تحلل ضروب الصراع المختلفة التي تحتدم في داخل النفس.

. الفرق بين السيرة الذاتية والرواية: أن الرواية تستمدّ وقائعها مما يصوغه الخيال من معطيات الواقع، وتلك تستمدّها من معطيات الواقع نفسها.

. وما كتِب في الأدب العربي الحديث من سير ذاتية فهي تدخل في باب التحليل التاريخي أكثر من قربها للسيرة الأدبية من مثل: (محمد علي الكبير لمحمد شفيق غربال، و حياة الرافعي لـ محمد سعيد العريان، ومنصور الأندلس لعلي أدهم).

. **السير الأدبية الحديثة وقيمتها الفنية:**

1 إن سيرة (جبران خليل جبران) لميخائيل نعيمة 1934، وسيرة (الأيام) لطه حسين 1929التي كتبها قبل سيرة جبران، ونحا فيها نحواً جمع بين التصوير والتقرير، ولم تُكتب على نسقٍ فنيٍّ واحد، وهي تعدّ بحق أولى السير الذاتية الفنية في الأدب العربي على الإطلاق.

2 كُتبت بعدها سير كثيرة لم تحمل الصفات أو السمات الفنية للسيرة الذاتية، فمن كتابها نحا فيها نحواً قصصيّاً كما فعل توفيق الحكيم في (عودة الروح) والعقاد في (سارة)، ومنهم نحا نحواً تقريرياً مثل العقاد في (أنا)، وأحمد أمين في (حياتي).

3 أما الكتب التي ممكن أن تقارب السيرة في القرن 19فهي ضرب من التاريخ، مثل (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) لرفاعة رافع الطهطاوي، أما (الساق على الساق فيما هو الفارياق) ل أحمد فارس الشدياق فهي أقرب كونه نزع فيها نزعة فنية.

. **سيرة جبران خليل جبران:**

مصادر سيرة جبران:

1 جبران في صحبته للمؤلف نعيمة: إذ أتاحت الصحبة لنعيمة الوقوف على أسرار نشأة جبران وأحوال أسرته، إذ لا يبعد أن يكون جبران قد حدثه عنهما، وعن الرابطة القلمية وعن قانونها واجتماعاتها، وعن مجلة (الفنون)، وقد عدّ بعض النقاد كتاب سيرته مجموعةً حيةً من ذكريات المؤلف، في صحبته لجبران.

2 بعض من عرفوا جبران خليل جبران في نيويورك وبوسطن: مثل بربارة يونج حينما سألها نعيمة أن تحدثه عن صلات جبران بمن عرف من النساء، وماري هاسكل، وميشلين، وأشار نعيمة إلى سيدة لبنانية أخبرته بأنها هي التي عناها جبران في مقالته (الجنية الساحرة)، وذكر نعيمة أيضاً نسيب عريضة وعبد المسيح حداد، وهذا يثبت المصادر الحية التي جمع منها جبران بعض مواد السيرة.

3 كُتب جبران: إذ سد بعض ما استقى نعيمة منها ثغراً في الكتاب، مثل صلة جبران بمن سماها(سلمى كرامة) في قصته الأجنحة المتكسرة، فقد عاد نعيمة في تصويرها إلى القصة نفسها. والنصوص في كتب جبران حركت مخيلة نعيمة مثل تصوير المرحلة التي قضاها جبران في باريس، فقد بدا الفصل كله مجموعة من النصوص ألف بينها نعيمة هذا التأليف الذاتي.

4 تجربة نعيمة الروحية التي تماثل تجربة جبران: وقد بدا ذلك في السيرة بشكل تذوقي رائع لها، وتفسيراً عميقاً شاملاً، وهنا نجد في السيرة مما نثره نعيمة مما سماه (فلسفته في الحياة).

5 رجوع نعيمة إلى لبنان وزيارة مسقط رأس جبران بشرّي، فلا يبعد أنه لقي أنسباء جبران ومن يعرفه ويعرف أباه وأمه وأخاه، فحدثوه عن طفولة جبران وعن أسرته.

المسرح في الأدب العربي الحديث

- **هل يمتلك العرب أصولاً مسرحيّة؟**

١. فريقٌ من الباحثين يُسلّم بوجود أصولٍ مسرحيّةٍ تتمثّل في الآتي:

(تشخيص مشاهد عاشوراء، مسرحيات بلا كاتب تقدّمها الفرق الجوالة في مصر، القصص التخييلي الذي تُوّج بالمقامات إذ كان التشخيص محظوراً، الحكواتيّة والقُصاص، صندوق الدّنيا، خيال الظلّ وهو صورةٌ قديمةٌ لمسرح الدّمى (العرائس).).

٢. فريقٌ آخرُ من الباحثين ينكر وجود أصولٍ مسرحيّةٍ عربيّةٍ، وأنّ تلك الظواهر لا تتعدّى ما هو معروف ومشتركٌ بين الأمم ذات الحضارة القديمة.

- **أسباب عدم وجود مسرح في القديم لدى العرب:**

١. ضعف الإحساس بالاستقرار لترحال العرب الدائم. والمسرح ظاهرة حضاريّة تتطلّب الاستقرار في المدن.

٢. وثنية الجاهلية السّاذجة لم تؤدّ إلى نشوء فنّ التمثيل، وفي مصر طغت روح المعبد على ذلك.

٣. لم يُعِن الإسلام على نشوء صراعٍ دراميٍّ بين الإنسان والأقدار.

٤. اللغة العربية بقوالبها الشعرية لا تلائم المسرح الذي يحتاج إلى لغة الحياة.

٥. لا يمكن للعقل العربي تصوّر ساحة الفعل التمثيلي الحسيّة.

٦. الشعر ديوان العرب، وهو شعرٌ غنائيٌّ خطابي يتجه إلى الوصف الحسّي.

- **المسرح العربي بعد الحملة الفرنسية على مصر:**

مارون النقاش:

من لبنان، وهو أوّل من حمل المسرح إلى الأدب العربي، فقد كان كثير الرحلات بسبب عمله في التجارة، وخلال رحلاته اطّلع على مسرحيات الفرق التي كانت تقدمها في أوروبا، ثم عاد إلى لبنان وقدّم مسرحيته البخيل في بيته مستوحياً أحداثها من مسرحية البخيل للمسرحي الفرنسي موليير، وتعدّ أوّل مسرحية عربية في أواخر عام ١٨٤٩م.

نجح مارون النقاش في نقل الظاهرة المسرحية من المجتمع الأوربي إلى المجتمع العربي، ويعود ذلك إلى عوامل أهمها:

1 موهبة النقاش المتعددة الجوانب فهو شاعرٌ، وموسيقيٌّ، ومؤلفٌ، ومخرجٌ، وممثلٌ وناقد.

2 كان يمتلك العدة الثقافية مثل اللغة والاطلاع والسياحة والتجول في بلدانٍ مختلفة.

3 التجارة التي كان يعمل فيها، إذ أنفق بسخاء على مسرحه، وكان يهمه النجاح وتأسيس مسرح عربي.
4 البداية لديه كانت سليمة، إذ استهدى بأعمال موليير، ولم يقم بترجمتها، وذهب إلى التراث العربي الشعبي في مسرحيته (أبو حسن المغفل).

أحمد أبو خليل القباني:

من سورية، وهو أحد الفنانين الموهوبين فقد كان: (يجيد تأليف الأدوار وتلحينها وغناءها، ويجيد رقص السماح، ويحسن نظم الأزجال والأشعار، وله قدرة على ربط الحوادث في شكلٍ قصصي). وقد أعجب ببعض العروض المسرحية فعزم على تقليدها، وألّف مسرحية (ناكر الجميل)، وقدّمها في بيت جدّه، وحينما نجح تصدّت له الفئات الرجعية وطالبت بإغلاق المسرح، فرحل إلى مصر وأسّس مسرحاً فيها.

عيوب مسرحيات القباني:

1 سيطرة الغناء والشعر الغنائي والرقص والموسيقا والموشحات على بنية العمل المسرحي، وهذا ما دفع محمود تيمور للقول: (وكان أكبر ما يعنيه في التمثيل إتقان الألحان الموسيقية والغنائية ...وتوفير الرقصات الإيقاعية).

2 معظم مسرحياته مستمدة من الحكايات الشعبية، ولاسيما ألف ليلة وليلة، وهو عموماً لم يستطع أن يغيّر في أحداث الحكاية الأصلية، وكأنْ عمله اقتصر على توزيع الحوار على الشخصيات.

3 ضعف الحبكة لسيطرة الغناء والموسيقا، وخلو مسرحياته من الشخصيات المتماسكة المتنامية.

<u>من مسرحياته التي وصلت إلينا كتبها القباني:</u>

مسرحية (هارون الرشيد مع الأمير غانم بن أيوب وقوت القلوب) وهي تاريخية غرامية أدبية تلحينية تشخيصية ذات خمسة فصول.

مسرحية (هارون الرشيد مع أنس الجليس) تشخيصية ذات خمسة فصول.

مسرحية (الأمير محمود نجل شاه العجم) وهي غرامية أدبية تلحينية تشخيصية ذات خمسة فصول.

مسرحية (عفيفة) تاريخية أدبية أخلاقية تمثيلية تلحينية ذات خمسة فصول، وهي مستوحاة من مسرحية (جنفياف)، وقد ترددت في الكتب الدينية وسير القديسين.

مسرحية (عنتر بن شداد) تاريخية أدبية غرامية حربية تلحينية تشخيصية ذات أربعة فصول.

مسرحية (لباب الغرام) أو (الملك متريدات) تشخيصية ذات خمسة فصول، وهي رواية أدبية غرامية حربية، وهي من تأليف جان راسين، ترجمها سليم النقاش، ثم اقتبسها القباني، ولم يكن يتقن اللغة الفرنسية.

مسرحية (حيل النساء) الشهيرة ب (لوسيا) وهي مسرحية تمثيلية غرامية أدبية ذات أربعة فصول.

ومسرحية (ناكر الجميل).

يعقوب صنوع:

من مصر، وكان له دورٌ في المسرح حين ربط عمله المسرحي بالمجتمع ونقده، واشتغل في التراث الشعبي واستغله للاستفادة منه في كتابة المسرحيات. واستطاع لأول مرة أن يدفع بالمرأة إلى المسرح لتأخذ فيه دورَها.

وبهذا كانت مصر رائدة الحركة المسرحية.

توفيق الحكيم:

له أثرٌ كبيرٌ في المسرح العربي، فقد قدّم بعضاً من روائع المسرح الغربي لموليير وشكسبير وبرناردشو.

وكان من أبرز كُتاب المسرح العربي وذلك:

– جعل من المسرحية نوعاً أدبيّاً.

– لديه القدرة في صياغة الحوار الحساس الغني بالحياة والحركة واستيعاب المواقف.

– يعالج في مسرحياته قضايا اجتماعية إنسانية عامة.

– هو صاحب المسرح الذهني: ويعني به النقاد اشتغال الحكيم بموضوعاتٍ ذُهنية تكون الشخصيات رموزاً لعناصرها المتصارعة.، ويعني أيضا: أن عنصر الصراع (الدراما) في المسرح اليوناني القديم بين البشر وأقدارهم، وفي المسرح الكلاسيكي بين القوى المتصارعة في النفس البشرية يبدو واضحاً في مسرح الحكيم بين مجمل القضايا الفلسفية التي تشغل ذهن الإنسان منذ قديم الزمان.

– ارتفع الحكيم بأدب التمثيل إلى هذه الآفاق العالية على الرغم من: (بطء الحركة لطغيان الفكر لديه، وضعف النبض الإنساني في شخوصه أحياناً، وغلبة المعنى الرمزي الذي يمثلونه، وافتعال بعض الأحداث).

– مصادر مسرحه: الأسطورة، والتراث العربي القديم، والتراث التاريخي والديني، والتراث الشعبي، والمجتمع والإنسان.

– يوجد في مسرحياته عنصر الإمتاع بفضل العناصر الجمالية: البناء القوي، الشخصية الحية، التفاعل والحركة المناسبة، الحوار الذكي، والفكر الساطع، اللغة المستساغة، تسهيل اللغة.

مثال من مسرحه الذهني:

(مسرحية أهل الكهف):

وهي كُبرى مسرحياته الذهنية ففيها: (صراعٌ بين الإنسان والزمان – تكون قيمة الحياة الإنسانية في عمق روابطها بما حولها من الناس والأشياء ومعانيها، فإذا فقدت الإحساس بهذه الروابط فقدت الحياة قيمتها).

وهذا هو معنى عودة أهل الكهف إلى كهفهم فقد انقطعت روابطهم بكلّ الأشياء، وهذا يعني أن الحياة تستمدّ قيمتها مما في داخل النفس من غنى بالأشياء، فأما الأشياء في ذاتها فهي بلا قيمة.

(مسرحية أريد أن أقتل):

وفيها زوجان يتبادلان عبارات الإخلاص الأبدي إلى حدّ الرغبة في أن يسبق كلٌّ منهما الآخر في الموت حتى لا يُفجع بموت حبيبه.

وتفاجئهما فتاةٌ دخلت المنزل تحمل مسدّساً وتهددهما بالموت وتطلب منهما أن يختار أحدهما لتقتله، إذ لا بدّ من أن تقتل أحداً، فيأخذ كلٌّ من الزوجين يغريها بقتل الآخر.

هدف توفيق الحكيم: السخرية من تزييف الحقيقة على ألسنة الناس، ونقاق بعضهم لبعض. ويعالج في المسرحية الإنسان في انكساره أمام قوى نفسية موروثة لا تُغالب.

المسرحية اللامعقولة:

حاول توفيق الحكيم مواكبة تقنية المسرح الجديد في العالم، فكتب مسرحياته (يا طالع الشجرة) وهي مسرحية وحيدة في هذا الباب، وهي مستقاة من الموّال الشعبي الذي يقول: (يا طالع الشجرة/ هات لي معك بقرةً/ تحلب وتسقيني/بالملعقة الصيني)، والموّال يستنكر ما أصاب بعض الناس من ثراءٍ فاحشٍ، في فتراتٍ وجيزة. أصدر الحكيم هذه المسرحية في كتابٍ وجعل لها مقدمة تحدث فيها عن اللامعقول، وعلى الرغم ن أنّ أدبنا الشعبي عرف هذا النوع من الأدب في الموال في يا طالع الشجرة، والمشهد الوحيد اللامعقول هو أن جلس الزوج والزوجة يتحاوران، ولكنّ كلاً منهما يتحدّث عن أمرٍ لا يتحدّث عنه الآخر، ويستمر الحديث، وكل منهما في وادٍ غير الوادي الذي فيه الآخر.

المسرحية الشعرية:

ويعرّفها لويس عوض: هي ليست الشعر المسرحي، فالمسرحية الشعرية هي مسرح أولاً وشعر ثانياً، أما الشعر المسرحي فهو شعر أولاً ومسرح ثانياً، وغلبته تعود إلى الحركة الرومانسية، إذ حولت المسرح الشعري إلى شعر مسرحي، والخشبة إلى كتاب، والمشاهدة إلى قراءة، لأنها قامت على العاطفية والذاتية والخيال، وهي سمات لا تتناسب مع العرض المسرحي، إذ رفعت الشعر الغنائي على حساب المسرحية، وثمة عدد كبير من المسرحيات الرومانسية يتعذر تمثيلها.

. المسرحية الشعرية التقليدية:

من كتّابها:(من لبنان بنت يفتاح لسعيد عقل . ومن سورية ذي قار لعمر أبي ريشة، وميسلون لبدر الدين حامد، عدنان مردم بك غادة أفاميا، ومن مصر أحمد شوقي وله أحمد علي بك الكبير ومصرع كليوباترا، ومجنون ليلى).

تتسم هذه المسرحية بسمات ميزتها كالآتي:

1 بروز السمة الأخلاقية، والدعوة إلى القيم الدينية والوطنية فيها.

2 الاختلاف بين مرجعٍ وآخر، أو مصدرٍ وآخر، حول تاريخ نظم معظم هذه المسرحيات لأنها مُثلت أولاً ثم طُبعت، وبعضها لم يُطبع.

3 استمدّت هذه المسرحيات الشعرية موضوعاتها من التاريخ القديم والمعاصر، والتراث الأدبي والديني، فالشعراء استدعوا التراث ولكنهم عجزوا عن استلهامه، وتوظيفه، ولم تستطع هذه المسرحيات أن تعبر عن التجارب المعاصرة من جهة، حتى أنّ الشعر ذاته كان عودةً بالأحداث إلى أزمنتها الحقيقية الأصلية، ويمكن القول: كانت هذه المسرحيات وفيةً للموروث تاريخياً وتراثاً ولغةُ أكثر من وفائها للعمل المسرحي، حتى غدت المسرحية أقرب إلى قصيدة قصصية، وزعت فيها الأدوار.

4 معظم هذه المسرحيات أقرب إلى الشعر المسرحي منها إلى المسرحية الشعرية، وهي امتدادٌ للشعر الغنائي.

5 الإصرار على استعمال الأساليب القديمة في الشعر ونقلها إلى عالم المسرح، فهم يستعيرون صورهم، وأخيلتهم من القدماء، مثل عزيز أباظة من دون الالتفات إلى أنّ عالم المسرح هو عالم المشاهدة لا عالم البيان والبلاغة، وهم يصدرون عن الماضي لا الحاضر، ومحاولة التكيف والتلاؤم والتلفيق بين فنّ الشعر الغنائيّ وفن المسرح، وهذا ما جنى على المسرحية الشعرية.

6 انعدام التمايز والاختلاف بين الشخصيات لغة وسمات، لأنّ صوت الشاعر الغنائيِّ يطغى على أصوات شخصياته داخل النصّ، وتصبح أصوات الشخصيات متشابهة، لأنّ الشاعر لا يدعها تعبّر عن نفسها وخصوصيتها، وإنّما راح يعبر عنها وكأنّ الشخصيات تلقي وتنشد الشعر على المسرح، وتتبادل دور الشاعر، فابتعدت عن الحياة، وحياتها بشكلٍ خاص، وأصبحت أقرب إلى الرواة منها إلى الشخصيات المسرحية الحية، وفي هذا شيءٌ من طبيعة الشعر الغنائي، وشيءٌ آخر من ذاتية الشعر في الحركة الرومانسية.

7 اهتمام الشاعر باللغة الشعرية، أكثر من اهتمامه بالحوار والحبكة والصراع المسرحي، فكان انتقاء الجملة والمفردة، تناغم الشعرية، وحسن تجاوز الجمل، وتلاؤم أجزائها حلّ محلّ بنية المسرح الشعرية.

8 انتابت بنية هذه المسرحيات عيوبٌ كثيرة، أهمها: هيمنة الشعر الغنائي والقصائد الغنائية، وهذا ما قيد الحوار وأبطل مفعول الصراع الداخلي، وتنامي العمل عضوياً وكان الوزن التقليديّ، عاملاً آخر من عوامل الإعاقة، فارتفعت اللغة الشعرية على حساب بنية العمل المسرحي، فأصاب بناء الشخصيات كثير من الخلل والقصور في معالجة البنية الدرامية.